(الخشوع) في القرآن الكريم

دراسة دلالية

د. مصطفى كاظم شغيدل
جامعة بغداد/ كلية الآداب

الحمد لله رب العالمين، وصلـى الله على خير خلقه أجمعين، محمد وآله الطيبين الطاهرين.

لا شكّ في أن القرآن الكريم هو معجزة الإسلام الخالدة، وقد تحدّى جميع البشر بذلك، بل جميع الإنس والجن، على أن يأتوا بمثله، ولم يحصر ذلك بجماعة مخصوصة، فقال – عزّ من قائل – : **(قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتـواْ بِمِثْلِ هـَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتـونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً)**(١).

وحسب القرآن عظمة، وكفاه منزلة وفخراً أنه كلام الله العظيم، ومعجزة نبيه الكريم ، وأن آياته هي المتكفلة بهداية البشر في جميع شؤونهم وأطوارهم في أجيالهم وأدوارهم، وهي الضمينة لهم بنيل الغاية القصوى والسعادة الكبرى في العاجل والآجل. قال الله – تبارك وتعالى – : **(إِنَّ هـَـذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ)** (٢).

فالقرآن الكريم هو المعين الذي لا ينضب، فهو مرجع اللغوي، ودليل النحوي، وحجة الفقيه، ومـثـل الأديب، وضالة الحكيم، ومرشد الواعظ، وعنه تؤخذ علوم الاجتماع والسياسة المدنية، وعليه تؤسس علوم الدين، ومن إرشاداته تكتشف أسرار الكون، ونواميس التكوين(٣).

ولاشكّ – أيضاً – في أنه ليس من اليسير أن يصل الباحث في محيط القرآن إلى قرار؛ لما يزخر به من شتى الأفكار وفنون القول؛ ولذا فإن العرب – قديماً – الفصحاء النابغون في الفصاحة عجزوا عن أن يجاروه، ولو في آية واحدة؛ حتى قال الوليد بن المغيرة فيه عاجزاً منبهراً: ((والله لقد سمعت منه كلاماً، ما هو من كلام الإنس ومن كلام الجن، وإن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه، وما يقول هذا بشر)) (٤).

وقد حاولت في هذا البحث الوقوف على لفظة تردّد ذكرها في القرآن الكريم، وهي ((الخشوع وتصاريفها))، فوسمته بـ((الخشوع في القرآن الكريم – دراسة دلالية –))؛ محاولاً الوقوف على معانيها في القرآن الكريم، معتمداً على أُمات المصادر في تفسير القرآن الكريم والرواية.

وقبل الحديث عن معاني مادة ((الخشوع)) في القرآن الكريم، لابد من عرض لهذه اللفظة من خلال ما قاله أصحاب المعجمات. وهو ما سأبينه في هذه التوطئة.

توطئة: مادة ((خشَع)) في المعجمات

يدل ((الخشوع)) في الأصل على ((رمي البصر نحو الأرض))، ولكنه يخرج إلى معانٍ ثانوية مجازية أخرى، بحسب سياق الكلام، والقرائن المتصلة بحالة الخشوع. ومن هذه المعاني الخضوع، والتواضع، والتداعي والإلصاق، والسكون، والتضرع، والسهولة، والانكسار، والخوف، والتذلل، والاستكانة، والاطمئنان، والركوع.

فالخشوع هو: رميك ببصرك إلى الأرض. والفعل منه كمَن–ع، يقال: خ–شَ–ع الرجلُ يخشَعُ خشوعاً، فهو خاشع، وأَخشعَ، واختشعَ، وتخشعَ، وخشَع ببصره، إذا رمى ببصره إلى الأرض وغضه. وقوم خشع: متخ–شعون، ويقال: اختشعَ ببصره. والخاء والشين والعين أصل واحد[٥].

و((الخشوع)) هو ((الخضوع))، أو قريب منه[٦]. وفرِّق بينهما بأن ((الخضوع في البدن، وهو الإقرار بالاستخدام، والخشوع في البدن والصوت والبصر))[٧].

وفرّق أبو هلال العسكري بينهما بقوله: ((وعند بعضهم أن الخشوع لا يكون إلا مع خوف الخاشع المخشوع له، ولا يكون تكلفاً؛ ولهذا يضاف إلى القلب فيقال: خشع قلبه، وأصله البس، ومنه يقال: قفٌّ خاشع للذي تغلب عليه السهولة، والخضوع هو التطامن والتطاطؤ، ولا يقتضي أن يكون معه خوف؛ ولهذا لا يجوز إضافته إلى القلب، فيقال: خضع قلبه... وقال بعضهم... الخشوع بالجوارح، والخضوع بالقلب))[٨].

وفرّقت الدكتورة عائشة عبدالرحمن بينهما بقولها: ((يفترق الخشوع عن الخضوع، بأننا لا نخشع إلا عن انفعال صادق بجلال م–ن نخضع له، ... كما أن الخضوع قد يكون تكل–فاً عن نفاق وخوف، أو تقية ومداراة. والعرب تقول: خضع قلبه، ولا تقول: خشع، إلا تجوّزاً))[٩].

ويدل ((الخشوع)) على ((التواضع))، فيقال: أخشعتُ، أي: طأطأتُ الرأس كالمتواضع[١٠]، ويقال: مكان خاشع، والخشعةُ: أكمةٌ متواضعة[١١]، وخشع لله: تواضع وذلَّ[١٢]، ويقال: اختشعَ: إذا طأطأ صدره وتواضع[١٣].

وفرّق أبو هلال العسكري بين ((الخشوع)) و((التواضع)) بقوله: ((إن التواضع يعتبر بالأخلاق والأفعال الظاهرة والباطنة، والخشوع: يقال باعتبار الجوارح؛ ولذلك قيل: إذا تواضع القلب خشعت الجوارح))[١٤].

ويدل ((الخشوع)) على ((التداعي والإلصاق)). فيقال: أكمةٌ خاشعة، أي: ملتزمة لاطئة بالأرض[١٥]. وفي الحديث: ((كانت الكعبة خشعة على الماء فدحيت على الأرض))[١٦]. ويقال: جدار خاشع، إذا تداعى واستوى مع الأرض[١٧]. وقال النابغة:

ونؤي كج–ذم الحوضِ أثلم خاشع[١٨]

ويقال: حشيشة خاشعة: يابسة ساقطة على الأرض، وكذا خشع الورق: إذا ذَب–لَ[١٩].

ويدل ((الخشوع)) على ((السكون)). كقوله – تبارك وتعالى – : (يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَت الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْساً)[٢٠]، أي: سكنت[٢١]. وكل ساكن خاشع[٢٢]، ويقال: خشعت الأرض، إذا سكنت واطمأنت[٢٣]. فالخشوع: السكون[٢٤].

ويدل ((الخشوع)) على ((التضرع)). فالخشوع والتخش–ع والتضرُّع واحد، قال:

ومدح–جٌ يحمي الكتيبةَ لا ي–رى   عنهُ الكريهة ضارعاً م–ت–خش–عا [٢٥]

وقال الراغب: ((الخشوع: الضراعة، وأكثر ما يستعمل الخشوع فيما يوجد على الجوراح. والضراعة أكثر ما تستعمل فيما يوجد في القلب؛ ولذلك قيل فيما روي: ((إذا ضرع القلب خشعت الجوارح))...))[٢٦]. فالتخشع: نحو التضرُّع[٢٧].

ويدل ((الخشوع)) على ((السهولة)). فالخاشع من الأرض: الذي تثيره الرياح لسهولته؛ فتمحو آثاره[٢٨].

ويدل ((الخشوع)) على ((الانكسار)). فيقال خشع بصره، إذا انكسر[٢٩]، ويدل ((الخشوع)) على الخوف[٣٠]، والتذلل[٣١]، والاستكانة، فالخاشع: المستكين[٣٢]، ويدل ((الخشوع)) على ((الاطمئنان))، فالخاشع المطمئن من الأرض[٣٣]، والخاشع في بعض اللغات الراكع[٣٤].

أما في القرآن الكريم فقد جاءت مادة ((خشع)) ومشتقاتها في ست عشرة مرّة، خمس مرات في آيات مدنية، وإحدى عشرة مرّة في آيات مكية[٣٥]؛ لتدل على معانٍ عشرة، هي:

أولاً: ((الخشوع)) بمعنى ((الخضوع))

جاء في القرآن الكريم ((الخشوع)) دالاً على الخضوع، ومنه قوله –تبارك وتعالى– : **(خَاشِعِينَ لِلّهِ لاَ يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ ثَمَناً قَلِيلاً)**[٣٦].

وقد اختلف المفسرون – ممن اطلعت على آرائهم – في بيان دلالة ((الخشوع)) في الآية الكريمة ((خاشعين لله)) على النحو الآتي:

١ – أن دلالة ((الخشوع)) هي ((الخوف))[٣٧].

٢ – أن دلالة ((الخشوع)) هي ((التواضع))[٣٨].

٣ – أن دلالة ((الخشوع)) هي ((الذل))[٣٩].

٤ – أن دلالة ((الخشوع)) هي ((الخضوع))[٤٠].

ولعل من نافلة القول أن المفسرين – ممن اطلعت على آرائهم – اختلفوا في سبب نزول الآية[٤١]، كما يأتي:

١– قيل إن النبي لما بلغه موت النجاشي، دعا له واستغفر له، وصلـى عليه، وقال للمؤمنين: صلوا عليه، فقالوا: نصلي على رجل ليس بمسلم؟ وقال قوم منافقون: نصلـي على علج بنجران؟ فنزلت هذه الآية، فالصفات التي فيها صفات النجاشي.

٢– قيل إنها نزلت في جماعة من اليهود، وكانوا أسلموا، منهم عبدالله بن سلام، ومـن معه.

٣– وقيل إنها نزلت في كل مـن أسلم من أهل الكتاب من اليهود والنصارى.

ومن ثـمَّ فإنني أرى –والله أعلم– أن دلالة ((الخشوع)) في الآية هي ((الخضوع))؛ لأنّ هذ المعنى يتسق وسياق الآية الذي وردت فيه. فهؤلاء الذين آمنوا من أهل الكتاب من اليهود والنصارى –على اختلاف آراء المفسرين في تحديد أسمائهم –خضعوا الله – تبارك وتعالى– ، فهم ((مسلـمون لأمر الله، وخاضعون لإرادته، وهذا التسليم والخضوع هو السبب الحقيق لإيمانهم، وهو الذي فرّق بينهم وبين العصبيات الحمق، وحرّرهم من التعنـت والاستكبار تجاه منطق الحق))[٤٢].

بيد أنني لا أرى أن هناك تعارضاً بين معنى ((الخشوع – الخضوع)) في الآية والمعاني الأخرى –أي: الخوف، والتواضع، والذل – ؛ فهؤلاء خشعوا –أي: خضعوا لله Y خوفاً من عقابه، وتواضعاً له – تبارك وتعالى – ، وطلباً لرضاه، فكانوا ذليلين له Y .

ثانياً: ((الخشوع بمعنى ((الخوف))

ورد ((الخشوع)) في القرآن الكريم دالاً على ((الخوف))، ومما ورد منه قوله –تبارك وتعالى – : **(وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ)**[٤٣].

وقد ذكر المفسرون –ممن اطلعت على آرائهم– لـ((الخشوع)) في الآية الكريمة أربعة معانٍ، وهي:

أولاً: أن ((الخشوع)) بمعنى ((الذل)). فالمراد من **(وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ)**، أي: ذللاً، أو أذلاء لأمر الله، أي: متذللين لله Y [٤٤].

ثانياً: أن ((الخشوع)) بمعنى ((التواضع)). فمعنى **(وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ)**،أي: متواضعين[٤٥].

ثالثاً: أن ((الخشوع)) بمعنى ((الخضوع)). قال السيد محمد حسين الطباطبائي: ((...وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ. وهم يحيى وأبوه وأمه... والخشوع هو تأثر القلب من مشاهدة العظمة والكبرياء. والمعنى: أنعمنا عليهم لأنهم كانوا يسارعون في الخيرات من الأعمال، ويدعوننا رغباً في رحمتنا وثوابنا، ورهبة من غضبنا أو عقابنا، أو يدعوننا راغبين راهبين، وكانوا لنا خاشعين بقلوبهم))[٤٦]. فـ-((الخشوع)) هو ((الخضوع)) المقرون بالاحترام والإدب، ((فهؤلاء يسارعون في الخيرات، ويتوجهون إلى الله –سبحانه– في حال الفقر والغنى، والمرض والصحة، وأخيراً فإنهم لا يبتلون بالكبر والغرور عند إقبال النعمة، بل كانوا خاشعين خاضعين لله أبداً))[٤٧].

رابعاً: أن ((الخشوع)) بمعنى ((الخوف)). فمعنى: ((وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ))، أي: خائفين، دائمي الوجل. فالخشوع ((خوف القلب بالتفكر دون اضطراب الأعضاء الظاهرة))[٤٨]، وهو –أي: الخشوع – الخوف اللازم والدائم للقلب، لا يفارقه أبداً[٤٩].

ومهما يكن من أمر، فما أراه – والله أعلم– أن هذه المعاني الأربعة، وهي: الذل، والتواضع، والخضوع، والخوف، وإن كانت كلها متقاربة – كما يقول ابن كثير[٥٠]– ، بيد أنني أرى أن أقربها هو أن ((الخشوع)) في الآية الكريمة بمعنى ((الخوف))، فقوله: **(**وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ**)**، أي: خائفين خوفاً عظيماً مشفوعاً بالإحساس بالمسؤولية، يحملهم على الذل، والتواضع، والخضوع –والله أعلم– .

ثالثاً: ((الخشوع)) بمعنى ((التواضع))

ورد ((الخشوع)) في القرآن الكريم دالاً على ((التواضع)). ومما ورد منه قوله – تبارك وتعالى – : **(وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ)**[٥١].

وقد ذكر المفسرون –ممن اطلعت على آرائهم– لـ-((الخشوع)) في الآية الكريمة: **(وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ)** ثلاثة معانٍ، وهي:

أولاً: أن ((الخشوع)) في الآية الكريمة بمعنى ((الخوف)). فـ-((الخاشعين)) في الآية: الخائفون. قاله الربيع بن أنس[٥٢]، وإليه ذهب الطبري، إذ قال: ((**(**وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ**)** أي: الخائفين والخائفات))[٥٣]، وضع–فه الطبرسي[٥٤].

ثانياً: أن ((الخشوع)) في الآية الكريمة بمعنى ((الخضوع)). فـ-((الخاشعين الخاضعين لله والخاشعات))[٥٥].

ثالثاً: وهو ما ذهب إليه جلُّ المفسرين –ممن اطلعت على آرائهم– ، أن ((الخشوع)) في الآية الكريمة بمعنى ((التواضع)). وقد صرّح ابن عباس بذلك قائلاً: (((والخاشعين) المتواضعين من الرجال (والخاشعات) المتواضعات من النساء))[٥٦].

وقال الطوسي في تفسيره الآية الكريمة، مبيناً دلالة ((الخشوع)) فيها: ((وخاشع: صفة مدح، لقوله: ((والخاشعين والخاشعات))، وإنما خصّ الخاشع بأنها لا تكبر عليه؛ لأن الخاشع قد تواطأ ذلك له، بالاعتياد له، والمعرفة بما له فيه، فقد صار بذلك بمنزلة ما لا يشقُّ فعله، ولا يثقل تناوله))[٥٧].

وقال في موضع آخر: ((... ((والخاشعين)) يعني المتواضعين غير المتكبرين ((والخاشعات)) مثل ذلك))[٥٨].

وذهب كلٌّ من البغوي[٥٩]، والطبرسي[٦٠]، والرازي[٦١]، والبيضاوي[٦٢]، والسيوطي[٦٣]، وأبي السعود[٦٤]، والآلوسي[٦٥]، ومحمد الشربيني الخطيب[٦٦]، والسيد محمد حسين الطباطبائي[٦٧]، والدكتور محمد سيد طنطاوي[٦٨] إلى أن دلالة الخشوع في الآية الكريمة هي ((التواضع)).

ومهما يكن من أمر، فما يبدو لي – والله أعلم – أن المعنى الأقرب لـ((الخشوع)) في الآية الكريمة هو ((التواضع))، وهو ما ذهب إليه أكثر المفسرين – ممن نقلت آراءهم – ؛ فضلاً عن مناسبة هذا المعنى، أي: التواضع لحال المصلي في الصلاة، ((وإنما خصّ الخاشع بأنها لا تكبر عليه؛ لأن الخاشع قد تواطأ ذلك له، بالاعتياد له، والمعرفة بما له فيه، فقد صار بذلك بمنزلة ما لا يشقُّ عليه فعله، ولا يثقل تناوله))[٦٩].

ويبدو لي أيضاً – والله أعلم – أن لا تعارض بين معنيي ((الخضوع))، و((التواضع)) للخشوع في الآية الكريمة. وبيان ذلك أن هؤلاء المؤمنين بخضوعهم لله – تبارك وتعالى – أصبحوا متواضعين له Y في الصلاة، فالتواضع نتيجة الخضوع، وهو ما بينه السيوطي بقوله: ((... (والخاشعين) يعني المتواضعين لله في الصلاة من لا يعرف عن يمينه ولا من عن يساره، ولا يلتفت من الخضوع لله (والخاشعات) يعني المتواضعات من النساء))[٧٠].

فالخشوع ((صفة تجعل القلب والجوارح في حالة انقياد تام لله – تعالى – ومراقبة له، واستشعار لجلاله وهيبته))[٧١].

رابعاً: ((الخشوع)) بمعنى ((الذل والهوان))

جاء ((الخشوع)) في القرآن الكريم دالاً على ((الذل والهوان))، مسنداً فيه إلى ((الأبصار)) في آيات أربع[٧٢]، والى ((الوجوه)) في آية واحدة[٧٣].

ومما جاء فيه ((الخشوع)) مسنداً إلى ((الأبصار)) قوله – تبارك وتعالى – : **(يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إلى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ * خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إلى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ)** (٧٤).

وقد اتفق جميع المفسرين – ممن اطلعت على آرائهم – على أن المراد من ((الخشوع)) في الآية الكريمة هو ((الذل والهوان))، أي أن هذه الأبصار تكون ذليلة للذي هم فيه من الخزي والهوان، بحيث لا يرفعونها؛ لما يتوقعونه من عذاب الله – تعالى – (٧٥).

وصرّح الطوسي بهذا المعنى، إذ قال: ((**(خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ)** أي: ذليلة أبصارهم لا يرفعون نظرهم عن الأرض ذلة ومهانة **(تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ)** معناه: تغشاهم ذلة... وقوله **(وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إلى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ)** يعني دعاهم الله – تعالى – إلى السجود والخضوع له في دار الدنيا وزمان التكليف، فلم يفعلوا، فلا ينفعهم السجود في ذلك الوقت)) (٧٦). فذيل الآية يتناسب ومعنى ((الخشوع الذل والهوان)) **(تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانوا يُدْعَوْنَ إلى السجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ)**، فبعد أن كانوا أعزّاء – كما يتصوّرون – جعلهم الله Y أذلة مهانين جزاء تكبرهم وعدم انصياعهم لأمر الله – جلَّ وعلا – بالسجود في دار الدنيا – دار التكليف – ؛ فأذلهم في الآخرة جزاء أعمالهم.

وقال الطبرسي: ((... **(وَيُدْعَوْنَ إلى السُّجُودِ)** أي: يقال لهم على وجه التوبيخ اسجدوا **(فَلَا يَسْتَطِيعُونَ)**... **(خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ)** أي: ذليلة أبصارهم لا يرفعون نظرهم عن الأرض ذلة ومهانة **(تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ)** أي: تغشاهم ذلة الندامة والحسرة)) (٧٧).

وإليه ذهب ناصر مكارم الشيرازي؛ إذ قال: ((هذه الآية الكريمة تصف لنا حقيقة المجرمين عندما يدانون في إجرامهم وي–حكم عليهم، حيث نلحظ الذلة والهوان تحيط بهم، وتكون رؤوسهم مطأطأة تعبيراً عن هذه الحالة المهينة. ثم يضيف – تعالى – وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون، إلا إنهم لن يسجدوا أبداً؛ لقد صحبوا روح التغطرس والعتو والكبر معهم في يوم القيامة فكيف سيسجدون؟))(٧٨).

وخشوع ((الأبصار)) يوم القيامة ((هو غض البصر عن ذلة وانكسار، وشعور بهول الموقف الرهيب الذي يستيقن فيه الكفار من فداحة الذنب وصدق النذير وسوء المصير)) (٧٩).

فإسناد ((الخشوع)) إلى ((الأبصار)) إنما هو من باب المجاز، للدلالة على حالتهم الذليلة السيئة، وإنما اختصت ((الأبصار)) بذلك الأمر لظهور أثر الذل والخضوع منها. قال الزمخشري: ((وخشوع الأبصار كناية عن الذل والانخذال؛ لأن ذلة الذليل وعزة العزيز تظهران في عيونهما)) (٨٠).

وقد جاء ((الخشوع)) في القرآن الكريم دالاً على ((الذل والهوان))، مسنداً فيه إلى ((الوجوه)) في قوله Y : **(هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ * وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ * عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ * تَصْلَى نَاراً حَامِيَةً)** (٨١).

فقد ذكر غير واحد من المفسرين – ممن اطلعت على آرائهم – أن دلالة ((الخشوع)) في الآية الكريمة هي: ((الذل والهوان)). قال الطوسي: ((وقوله **(وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ)** معناه: أن وجوه العصاة والكفار في ذلة ذليلة مهانة من تلك المعاصي التي فعلتها في دار الدنيا. والمراد بالوجوه: أصحاب الوجوه؛ وإنما ذكر الوجوه لأن الذل والخضوع يظهر فيها)) (٨٢).

وصرّح الرازي بأن ((الخشوع)) في الآية الكريمة يدل على ((الذل والهوان)) قائلاً: ((أما قوله تعالى (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ)... وفيه مسألتان: المسألة الأولى: المراد بالوجوه أصحاب الوجوه وهم الكفار، بدليل أن تعالى وصف الوجوه بأنها خاشعة... ، وذلك من صفات المكلف، لكن الخشوع يظهر في الوجه، فعل–قه بالوجه لذلك... وقوله (خَاشِعَةٌ) أي: ذليلة مهانة، وقد عراهم الخزي والهوان)) (٨٣).

وفصل الدكتور محمد سيد طنطاوي في بيان معنى ((الخشوع)) في الآية الكريمة، فقال: ((والخاشعة: الذليلة المهانة، وكل متضائل ساكن يقال له خاشع. والمراد بالوجوه: أصحابها، من باب التعبير عن الكل بالبعض، وخصت الوجوه بالذكر؛ لأنها أشرف أعضاء الإنسان: ولأنها هي التي تظهر عليها الآثار المختلفة من حزن أو فرح. أي: وجوه في يوم قيام الساعة، تكون خاشعة ذليلة، تبدو عليها آثار الهوان والانتكاس والخزي... وفي هذه الصفات زيادة توبيخ لأهل النار؛ لأنهم لما تركوا في الدنيا الخشوع لله – تعالى – والعمل الصالح، وآثروا متعَ الدنيا على ثواب الآخرة؛ كان جزاؤهم يوم القيامة الإذلال)) (٨٤).

ومهما يكن من أمر، فإننا نلحظ أن ((الخشوع)) بمعنى ((الذل والهوان)) يتحقق بتوافر ثلاثة أمور:

أولها: إسناد ((الخشوع)) إلى ((الأبصار)) أو ((الوجوه)).

ثانيها: أن ((الخشوع)) الدال على ((الذل والهوان)) مختصّ بالكافرين.

ثالثها: يكون ذلك الأمر في يوم القيامة.

خامساً: ((الخشوع)) بمعنى ((اللين والرقة))

ورد ((الخشوع)) في القرآن الكريم بمعنى ((اللين والرقة)). ومنه قوله – جلَّ وعلا – : **(أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ)** (٨٥).

وقد ذكر المفسرون – ممن اطلعت على آرائهم – للخشوع في الآية الكريمة معاني ستة، وهي:

أولاً: ((الخشوع)) بمعنى ((اللين والرقة)). قال الطوسي: ((ومعنى قوله (أَلَمْ يَأْنِ) ألم يحن **(لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ)** أي: تخضع لسماع ذكر الله ويخافون عقابه، وينبغي أن يكون هذا متوجهاً إلى طائفة مخصوصة لم يكن فيهم الخشوع التام حثواً على الرقة والرحمة. وأما ما كان ممن وصفه الله بالخشوع والرحمة والرقة، فطبقة هؤلاء المؤمنين، ... والخشوع: لين القلب للحق بالانقياد له، ومثله الخضوع، وضده قسوة القلب))(٨٦).

وقال البغوي: ((... ألم يحن للذين آمنوا أن تخشع: ترق وتلين قلوبهم لذكر الله))(٨٧).

وقال الطبرسي في بين دلالة ((الخشوع)) في الآية الكريمة: ((... والخشوع: لين القلب للحق والانقياد له، ومثله الخضوع... **(أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا)** أي: أما حان للمؤمنين **(أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ)** أي: ترق وتلين قلوبهم (لِذِكْرِ اللَّهِ) أي: لما يذكرهم الله به من مواعظه))(٨٨).

وقال ابن كثير: ((يقول الله تعالى: أما آن للمؤمنين أن تخشع قلوبهم لذكر الله، أي: تلين و ترق عند الذكر والموعظة وسماع القرآن، فتفهمه، وتنقاد له، وتسمع له، وتطيعه))(٨٩).

ثانياً: ((الخشوع)) بمعنى ((الطاعة)). قال الطبري: ((**(أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ)** قال: تطيع قلوبهم))(٩٠).

ثالثاً: ((الخشوع)) بمعنى ((الانقياد)). قال أبو السعود: ((... أي: ألم يجئ وقت أن تخشع قلوبهم لذكره تعالى وتطمئن به، ويسارعوا إلى طاعته بالامتثال بأوامره والانتهاء عما نهوا عنه من غير توانٍ ولا فتور... ومعنى الخشوع له الانقياد التام لأوامره ونواهيه، والعكوف على العمل بما فيه من الأحكام))(٩١).

رابعاً: ((الخشوع)) بمعنى ((الاستكانة والتذلل)). قال محمد بن عاشور: ((... و(أَن تَخْشَعَ) فاعل (يَأْنِ)، والخشوع: الاستكانة والتذلل))(٩٢).

خامساً: ((الخشوع)) بمعنى ((التواضع)). قال الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: ((... و(تَخْشَعَ) من مادة ((خشوع)) بمعنى حالة التواضع مقترنة بالأدب الجسمي والروحي، حيث تنتاب الإنسان هذه الحالة – عادة – مقابل حقيقة مهمة أو شخصية كبيرة، ومن الواضح أن ذكر الله – عزَّ وجلَّ – إذا دخل أعماق روح الإنسان، وسماع الآيات القرآنية، فإنها تكون سبباً للخشوع، والقرآن الكريم – هنا – يلوم بشدة قسماً من المؤمنين لعدم خشوعهم أمام هذه الأمور؛ لأنه قد ابتـلي كثير من الأمم

السابقة بمثل هذا من الغفلة والجهل. وهذه الغفلة تؤدي إلى قساوة القلب، وبالتالي إلى الفسق والعصيان))[٩٣].

سادساً: ((الخشوع)) بمعنى ((التذلل والخضوع)). قال الدكتور محمد سيد طنطاوي: ((... والخشوع: التذلل والخضوع))[٩٤].

ويبدو لي – والله أعلم – أن معنى ((الخشوع)) في الآية الكريمة هو ((اللين والرقة))، وهو ما ذهب إليه أغلب المفسرين – ممن وقفت على آرائهم – ، غير أنني لا أرى تعارضاً بين ((الخشوع)) بمعنى ((اللين والرقة)) والمعاني الخمسة الأُخرى؛ فمنْ رقَّ قلبه ولانَ، صار مطيعاً لله – تبارك وتعالى – ، منقاداً له، مستكيناً ذليلاً، متواضعاً، خاضعاً له – جلّ شأنه – .

* ومنه قوله – عزَّ وجلَّ – : **(خَاشِعاً مُّتَصَدِّعاً)**[٩٥]. فقد ذكر المفسرون – ممن اطلعت على آرائهم – في دلالة ((الخشوع)) في الآية الكريمة قولين:

أحدهما: أن ((الخشوع)) بمعنى ((اللين والرقة))، وهو ما ذهب إليه أغلب المفسرين – ممن اطلعت على آرائهم – . إذ قال الطوسي: ((يقول الله – تعالى – معظماً لشأن القرآن الذي أنزله، مكبراً لحالة في جلالة موقعه بأنه لو أُنزل القرآن على جبل لرئي الجبل خاشعاً، والمراد به المثل، وتقديره: لو كان الجبل مما ينزل عليه القرآن، ولو شعر به مع غلظه وجفاء طبعه وكبر جسمه – لخشع لمنزله تعظيماً لشأنه، ولتصدّع من خشيته، فالإنسان أحقّ بهذا لو عقل الأحكام التي فيه))[٩٦].

وفصل الطبرسي في بيان دلالة ((الخشوع)) في الآية الكريمة، فقال: ((ثم عظ–م – سبحانه – حال القرآن فقال: **(لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُّتَصَدِّعاً مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ)** تقديره: لو كان الجبل مما ينزل عليه القرآن ويشعر به – مع غلظه وجفاء طبعه وكبر جسمه – لخشع لمنزلته، وتصدّع من خشية الله، تعظيماً لشأنه، فالإنسان أحقّ بهذا لو عقل الأحكام التي فيه. وقيل معناه: لو كان الكلام ببلاغته يصدع الجبل، لكان هذا القرآن يصدعه. وقيل: إن المراد به ما يقتضيه الظاهر بدلالة قوله: **(وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللّهِ)** وهذا وصف للكافر بالقسوة حيث لم يلن قلبه لمواعظ القرآن الذي لو نزل على جبل لتخشع))[٩٧].

وقال ابن كثير: ((يقول – تعالى – معظماً لأمر القرآن... **(لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُّتَصَدِّعاً مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ)** أي: فإن كان الجبل في غلظته وقساوته، لو فهم هذا القرآن فتدبر ما فيه، لخشع وتصدّع من خوف الله Y ، فكيف يليق بكم أيها البشر ألاّ تلين قلوبكم وتخشع، وتتصدّع من خشية الله))[٩٨].

وقال الفيض الكاشاني: ((... قيل: تمثيل وتخييل... والمراد: توبيخ الإنسان على عدم تخشعه عند تلاوة القرآن لقساوة قلبه وقلة تدبره))(٩٩).

والآخر: أن ((الخشوع)) بمعنى ((التذلل)). وإليه ذهب كلٌّ من الطبري، والدكتور محمد سيد طنطاوي. إذ قال الطبري: ((وقوله: **(لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُّتَصَدِّعاً مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ)** ... يقول – جلّ ثناؤه – : لو أنزلنا هذا القرآن على جبل، وهو حجر، لرأيته – يا محمد – خاشعاً؛ يقول: متذللاً متصدعاً من خشية الله على قساوته، حذراً من ألاّ يؤدي حق الله المفترض عليه في تعظيم القرآن، وقد أنزل على ابن آدم، وهو بحقه مستخفٌّ، وعنه عما فيه من العبر والذكر م–عرض، كأن لم يسمعها، كأنّ في أُذنيه وقراً))(١٠٠).

وقال الدكتور محمد سيد طنطاوي: ((أي: لو أنزلنا – على سبيل الفرض والتقدير – هذا القرآن العظيم الشأن على جبل من الجبال العالية الشامخة الصلبة، وخاطبناه به... لرأيت – أيها العاقل – هذا الجبل الذي هو مثال الشدة والغلظة والفخامة وعدم التأثر. لرأيته **(خَاشِعاً مُّتَصَدِّعاً مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ)** أي: لرأيته متذللاً متشققاً من شدة خوفه من الله – تعالى – ومن خشيته))(١٠١).

ومهما يكن من أمر، فما يبدو لي – والله أعلم – أن دلالة ((الخشوع)) في الآية الكريمة هي ((اللين والرقة))؛ وهو ما ذهب إليه أغلب المفسرين – ممن اطلعت على آرائهم – ، وهو ما يتناسب والسياق العام الذي وردت فيه اللفظة ((الخشوع))، كما بدا ذلك واضحاً جلياً من كلام المفسرين.

سادساً: ((الخشوع)) بمعنى ((الخضوع))، أو ((التواضع))، أو ((الاستكانة))

جاء ((الخشوع)) في القرآن الكريم دالاً على ((الخضوع))، أو ((التواضع))، أو ((الاستكانة)). ومنه قوله – عزَّ وجلَّ – : **(يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ)**(١٠٢).

وقد ذكر المفسرون – ممن اطلعت على آرائهم – للخشوع في الآية الكريمة معاني ستة، وهي:

أولاً: ((الخشوع)) بمعنى ((السكون)). فيكون معنى الآية: (وَتَرَاهُمْ) يا محمد **(يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا)**، أي: على النار قبل دخولهم فيها (خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ) أي: ساكنين في حال العرض **(يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ)**(١٠٣). فهم ساكنون عند عرضهم على النار لما لحقهم من الذل والهوان(١٠٤).

وأرى أن تفسير ((الخشوع)) في الآية الكريمة بمعنى ((السكون)) فيه نظر؛ فكيف يكون ساكناً من يعرض على النار، والقلق والاضطراب الشديدان يسيطران على وجوده؟! – والله أعلم – .

ثانياً: ((الخشوع)) بمعنى ((الذل)). فقوله: ((**(خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ)** ذليلين من الحزن))(١٠٥).

وقال البيضاوي: (((خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ) متذللين متقاصرين مما يلحقهم من الذل))[١٠٦].

وقال السيد محمد الحسيني الشيرازي: (((وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا) على النار بأن يؤتى بهم على شفيرها في حال كونهم (خَاشِعِينَ) أذلاء))[١٠٧].

وتفسير ((الخشوع)) في الآية الكريمة بمعنى ((الذل)) فيه نظر – أيضاً – ؛ لأننا إذا فسرنا (خَاشِعِينَ) بمعنى (أذلاّء أو (ذليلين) فإننا لم نزد عما وصفه ذيل الآية ((من الذل))؛ وبذا يكون المعنى: ((وتراهم يعرضون عليها ذليلين من الذل))، وهذا بعيد – والله أعلم – .

ثالثاً: ((الخشوع)) بمعنى ((الخوف)). قال الطبري: ((... قال أبو زيد: الخشوع: الخوف والخشية لله. وقرأ قول الله: (خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ /الشورى: ٤٥)))[١٠٨].

وأرى أن تفسير ((الخشوع)) في الآية الكريمة بمعنى ((الخوف)) فيه نظر – أيضاً – ؛ إذ لاشك في أن من يعرض على النار يكن خائفاً، بيد أن ذيل الآية (مِنَ الذُّلِّ) يبعد هذا المعنى، أي: خائفين؛ لأن المعنى سيكون: ((وتراهم يعرضون عليها خائفين من الذل))، وهم ليسوا خائفين من الذل، وإنما من عرضهم على النار، فهناك تعارض بين الخوف من عرضهم على النار، والخوف من الذل – والله أعلم – .

رابعاً: ((الخشوع)) بمعنى ((الخضوع)). فيكون المراد من الآية: وترى، يا محمد – صلّى الله عليه وآله وسلّم – الظالمين يعرضون على النار (خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ)، أي: خاضعين[١٠٩].

خامساً: ((الخشوع)) بمعنى ((التواضع)). فيكون معنى الآية: (وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا) أي: على النار (خَاشِعِينَ)، أي: متواضعين: (مِنَ الذُّلِّ) لما لحقهم من الذل والهوان[١١٠].

سادساً: ((الخشوع)) بمعنى ((الاستكانة)). قال أبو حيان الأندلسي: (((خَاشِعِينَ) متضائلين صاغرين مما يلحقهم (مِنَ الذُّلِّ)... والخشوع: الاستكانة، وهو محمود؛ وإنما أخرجه إلى الذم اقترانه بالعذاب))[١١١].

ويبدو لي – والله أعلم – أن ((الخشوع)) في الآية الكريمة يمكن أن يكون بمعنى ((الخضوع))، أو ((التواضع))، أو ((الاستكانة)) كما بدا ذلك من كلام المفسرين في المعنى الرابع والخامس والسادس؛ فيكون المعنى: وتراهم يعرضون عليها (خَاشِعِينَ)، أي: حال كونهم خاضعين متواضعين مستكينين؛ بسبب ما لحقهم من الذل من عرضهم على النار.

سابعاً: ((الخشوع)) بمعنى ((الخضوع))، و((التواضع))، و((لين القلب ورطوبة العين))

ورد ((الخشوع)) في القرآن الكريم دالاً على ((الخضوع))، و((التواضع))، و((لين القلب ورطوبة العين)) في الوقت نفسه. ومنه قوله – تبارك وتعالى – : (وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً)[١١٢].

وقد تباينت آراء المفسرين – ممن اطلعت على آرائهم – واختلفت في بيان دلالة ((الخشوع)) في الآية الكريمة، فكانت على أقسام ثلاثة:

الأول: أن ((الخشوع)) بمعنى ((الخضوع)). قال الطبري: ((القول في تأويل قوله تعالى: **(وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً)**. يقول – تعالى ذكره – : ويخر هؤلاء الذين أُتوا العلم من مؤمني أهل الكتابين من قبل نزول الفرقان، إذا يتلى عليهم القرآن لأذقانهم يبكون، ويزيدهم ما في القرآن من المواعظ والعبر خشوعاً، يعني: خضوعاً لأمر الله وطاعته))(١١٣).

وقال البغوي: ((... (وَيَزِيدُهُمْ) نزول القرآن (خُشُوعاً) خضوعاً لربهم، نظيره قوله تعالى: **(إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَن خَرُّوا سُجَّداً وَبُكِيّاً** /مريم: ٥٨)))(١١٤).

الثاني: أن ((الخشوع)) بمعنى ((التواضع)). قال الطبرسي: ((...(وَيَزِيدُهُمْ) ما في القرآن من المواعظ (خُشُوعاً) أي: تواضعاً لله تعالى))(١١٥).

وقال الرازي: ((... (وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً) أي: تواضعاً. واعلم أن المقصود من هذه الآية تقرير تحقيرهم والازدراء بشأنهم وعدم الاكتراث بهم وبإيمانهم وامتناعهم منه، وأنهم وإن لم يؤمنوا به فقد آمن به من هو خير منهم))(١١٦).

وقال الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: ((... وللتأكيد – أكثر – على تأثر هؤلاء بآيات ربهم، وعلى سجدة الحب التي يسجدونها تقول الآية التي بعدها: **(وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً)**. إن تكرار جملة (وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ) دليل على التأكيد، وعلى الاستمرار أيضاً. الفعل المضارع (يبكون) دليل على استمرار البكاء بسبب حبهم وعشقهم لخالقهم. واستخدام الفعل المضارع في جملة **(وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً)** دليل على أنهم لا يتوقفون أبداً على حالة واحدة، بل يتوجهون باستمرار نحو ذروة التكامل، وخشوعهم دائماً في زيادة ((الخشوع هو حالة من التواضع والأدب الجسدي والروحي للإنسان في مقابل شخصية معينة أو حقيقة معينة))(١١٧).

الثالث: أن ((الخشوع)) بمعنى ((لين القلب ورطوبة العين)). قال الزمخشري: ((...(وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً) أي: يزيدهم القرآن لين قلب ورطوبة عين))(١١٨).

وقال الشوكاني: (((وَيَزِيدُهُمْ) أي: سماع القرآن، أو القرآن بسماعهم له (خُشُوعاً) أي: لين قلب ورطوبة عين))(١١٩).

ومهما يكن من أمر، فما أراه – والله أعلم – أن دلالة ((الخشوع)) في الآية الكريمة يمكن أن تحتمل كلَّ معنى من المعاني الثلاثة، ولا يمكن بحال من الأحوال قصرُها على معنى واحد؛

ف((الخشوع)) في الآية بمعنى ((الخضوع))، و((التواضع))، و((لين القلب ورطوبة العين))، وقد تبين ذلك واضحاً جلياً في عرض كلام المفسرين في بيان معنى ((الخشوع)) في الآية الكريمة.

ثامناً: ((الخشوع)) بمعنى((التواضع))، و((التذلل)) و((الخوف))، و((السكون))، و((الخضوع))

ورد ((الخشوع)) في القرآن الكريم دالاً على ((التواضع))، و((التذلل)) و((الخوف))، و((السكون))، و((الخضوع)) في الوقت نفسه. ومنه قوله Y : **(الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ)**[١٢٠]. إذ اختلف المفسرون – ممن اطلعت على آرائهم – في بيان دلالة ((الخشوع)) في الآية الكريمة، فذكروا معاني سبعة، وهي:

أولاً: ((الخشوع)) بمعنى ((التواضع)). وإليه ذهب الشيخ ناصر مكارم الشيرازي؛ إذ قال: ((... **(خَاشِعُونَ)** مشتقة من خشوع، بمعنى التواضع وحالة التأدب التي يتخذها الإنسان جسماً وروحاً بين يدي شخصية كبيرة، أو حقيقة مهمة تظهر في الإنسان، وتبدو علاماتها على ظاهر جسمه.

والقرآن اعتبر الخشوع صفة المؤمنين، وليس إقامة الصلاة؛ إشارةً منه إلى أن الصلاة ليست مجرد ألفاظ وحركات لا روح فيها ولا معنى، وإنما تظهر في المؤمن حين إقامة الصلاة حالة توج–ه إلى الله تفضله عن الخير، وتلحقه بالخالق، ويغوص في ارتباط مع الله، ويدعوه بتضرع في حالة تسود جسمه كل–ه، فيرى نفسه ذرّة إزاء الوجود المطلق لذات الله، وقطرة في محيط لا نهاية له))[١٢١].

ثانياً: ((الخشوع)) بمعنى ((التذلل)). وإليه ذهب ك–لٌّ من الطوسي[١٢٢]، والسيد محمد الحسيني الشيرازي[١٢٣]، والسيد محمد حسين الطباطبائي؛ إذ قال: ((**(الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ)** وهذا هو الذي يؤيد أن المراد بالمحافظة في هذه الآية هو الخشوع في الصلاة، وهو نحوُ تذل–ل وتأثر باطني على العظمة الإلهية عند الانتصاب في مقام العبودية))[١٢٤].

ثالثاً: ((الخشوع)) بمعنى ((السكون)). قال ابن عطية المحاربي: ((... فقال **(الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ)** والخشوع... سكون الأعضاء، وهذا إنما يظهر ممن في قلبه خوف واستكانة))[١٢٥].

رابعاً: ((الخشوع)) بمعنى ((الخوف والسكون)). وإليه ذهب كلٌّ من ابن كثير[١٢٦]، والسيوطي[١٢٧]، وسيد قطب؛ إذ قال: ((**(الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ)** تستشعر قلوبهم رهبة الموقف في الصلاة بين يدي الله فتسكن وتخشع، فيسري الخشوع منها إلى الجوارح والملامح والحركات. ويغشى أرواحهم جلال الله في حضرته، فتختفي في أذهانهم جميع الشواغل ولا تشتغل بسواه، وهم مستغرقون في الشعور به، مشغولون بنجواه، ويتوارى عن حسهم في تلك الحضرة

القدسية كل ما حولهم وكل ما بهم، فلا يشهدون إلا الله، ولا يحسون إلا إياه، ولا يتذوقون إلا معناه، ويتطهر وجدانهم من كل دنس، وينفضون عنها كل شائبة، فيما يضمون جوانحهم على شيء من هذا مع جلال الله. عندئذٍ تتصل الذرة التائهة بمصدرها، وتجد الروح الحائرة طريقها، ويعرف القلب الموحش مثواه. وعندئذٍ تتضاءل القيم والأشياء والأشخاص إلا ما يتصل منها بالله))[١٢٨].

خامساً: ((الخشوع)) بمعنى ((الخوف والتذلل)). قال البيضاوي: (((الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ) خائفون من الله I ، متذللون له، ملزمون أبصارهم مساجدهم))[١٢٩].

سادساً: ((الخشوع)) بمعنى ((الخضوع والتواضع والتذلل)). قال الطبرسي: ((... ثمّ وصف هؤلاء المؤمنين بأوصاف فقال: **(الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ)** أي: خاضعون متواضعون متذللون، لا يرفعون أبصارهم عن مواضع سجودهم ولا يلتفتون يميناً وشمالاً))[١٣٠].

سابعاً: ((الخشوع)) بمعنى ((التذلل والخوف والسكون)). أي أن المراد من الخشوع في الآية الكريمة هو التذلل مع خوف وسكون للجوارح[١٣١].

ومهما يكن من أمر، فإننا نلحظ أن هذه المعاني: التواضع، والتذلل، والخوف، والسكون، والخضوع منها ما يكون من أفعال القلوب، ومنها ما يكون من أفعال الجوارح. فالجمع بين جميع هذه المعاني للدلالة على ((الخشوع)) في الآية الكريمة هو الأَوْلى – كما يرى الرازي[١٣٢]، وهو الحق، فتأويل الكلام، والذين هم في صلاتهم متذللون لله، متواضعون له بإدامة ما ألزمهم من فرضه وعبادته، وإذا تذل–ل لله فيها العبد رؤي خوفه وذل خضوعه في سكون أطرافه وشغله بفرضه، وتركه ما أُمر بتركه فيها – والله أعلم – .

تاسعاً: ((الخشوع)) بمعنى ((الخوف))، و((التواضع))، و((الخضوع))، و((الاستكانة))، و((الإيمان))، و((التصديق))

جاء ((الخشوع)) في القرآن الكريم دالاً على ((الخوف))، و((التواضع))، و((الخضوع))، و((الاستكانة))، و((الإيمان))، و((التصديق)) في الوقت نفسه. ومنه قوله – تبارك وتعالى – : (وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ)[١٣٣].

وقد ذكر المفسرون – ممن اطلعت على آرائهم – لدلالة ((الخشوع)) في الآية الكريمة معاني سبعة، هي:

أولاً: ((الخشوع)) بمعنى ((الخوف)). قال محمد بن عاشور: ((والخشوع تقدم في قوله تعالى: (وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ) ... وهو خوف يوجب تعظيم المخوف منه...))[١٣٤].

ثانياً: ((الخشوع)) بمعنى ((التواضع)). قال الطوسي: ((... وخاشع صفة مدح؛ لقوله: (**وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ**)، وإنما خصّ الخاشع بأنها لا تكبر عليه؛ لأن الخاشع قد تواطأ ذلك له: بالاعتياد له، والمعرفة بما له فيه، فقد صار بذلك بمنزلة ما لا يشقّ عليه فعله، ولا يثقل تناوله...))(١٣٥).

وقال القرطبي: ((... قوله تعالى: (عَلَى الْخَاشِعِينَ) الخاشعون جمع خاشع، وهو المتواضع، والخشوع: هيئة في النفس يظهر منها في الجوارح سكون وتواضع...))(١٣٦).

ثالثاً: ((الخشوع)) بمعنى ((الإيمان)). قال الرازي: ((... (**وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ**) قال: المؤمنين حقاً))(١٣٧).

رابعاً: ((الخشوع)) بمعنى ((الخضوع)). قال سيد قطب: ((... إلا على الخاشعين الخاضعين لله، الشاعرين بخشيته وتقواه، الواثقين بلقائه والرجعة إليه عن يقين))(١٣٨).

خامساً: ((الخشوع)) بمعنى ((التواضع والاستكانة)). وإليه ذهب الآلوسي؛ إذ قال: (((وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ) الضمير للصلاة كما يقتضيه الظاهر، وتخصيصها برد الضمير إليها لعظم شأنها واستجماعها ضروبها من الصبر، ومعنى كبرها ثقلها وصعوبتها على مـنْ يفعلها... والاستثناء مفرغ، أي: كبيرة على كل أحد إلا على الخاشعين، وهم المتواضعون المستكينون، وأصل الخشوع الإخبات... وإنما لم تثقل عليهم؛ لأنهم عارفون بما يحصل لهم فيها، متوقعون ما ادخر من ثوابها؛ فتهون عليهم...))(١٣٩).

سادساً: ((الخشوع)) بمعنى ((الخضوع والاستكانة)). صرّح بذلك الدكتور محمد سيد طنطاوي؛ إذ قال: ((قوله تعالى: (وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ) كبيرة، أي: صعبة شاقة. يقال: كبر الشيء: إذا شقَّ وثقل... والخاشعين: من الخشوع وهو في الأصل اللين والسهولة، ومعناه في الآية الكريمة: الخضوع والاستكانة لله تعالى))(١٤٠).

سابعاً: ((الخشوع)) بمعنى ((الخضوع، والخوف، والتصديق)). وإليه ذهب الطبري؛ إذ قال: ((ويعني بقوله: (إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ) إلا على الخاضعين لطاعته، الخائفين سطواته، المصدقين بوعده ووعيده...))(١٤١).

ويبدو لي – والله أعلم – أن دلالة ((الخشوع)) في الآية الكريمة هي:

((الخوف))، و((التواضع))، و((الخضوع))، و((الاستكانة))، و((الإيمان))، و((التصديق))؛ فيكون معنى الآية: (وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ)، أي: الخائفين من الله – عزَّ وجلَّ – ، المتواضعين له، الخاضعين المستكينين لطاعته، المؤمنين به حقاً، المصدقين بوعده ووعيده.

عاشراً: ((الخشوع)) بمعنى ((الخفض))، و((الإخفات))، و((السكون))، و((الهدوء))، و((الخفاء))، و((الخضوع))

ورد ((الخشوع)) في القرآن الكريمة دالاً على ((الخفض))، و((الإخفات))، و((السكون))، و((الهدوء))، و((الخفاء))، و((الخضوع)) في الوقت نفسه. ومنه قوله Y : (وَخَشَعَت الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْساً) (١٤٢). إذ ذكر المفسرون – ممن اطلعت على آرائهم – لدلالة ((الخشوع)) في الآية الكريمة معاني ستة، وهي:

أولاً: ((الخشوع)) بمعنى ((السكون)). قال الطبري: ((وقوله **(وَخَشَعَت الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ)** يقول تعالى ذكره: وسكنت أصوات الخلائق للرحمن، فوصف الأصوات بالخشوع، والمعنى لأهلها إن–هم خض–ع جميعهم لربهم، فلا تسمع لناطق منهم منطقاً إلا م–نْ أذن له الرحمن...))(١٤٣).

وقال السيد محمد الحسيني الشيرازي: ((**(وَخَشَعَت الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ)** سكنت لعظمة الرحمن وهول الموقف (فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْساً) صوتاً خفياً))(١٤٤).

وإلى هذا المعنى ذهب ك–لٌّ من الطوسي(١٤٥)، والبغوي(١٤٦)، وابن كثير(١٤٧)، وأبي السعود(١٤٨).

ثانياً: ((الخشوع)) بمعنى ((الخفض والإخفات)). قال الطوسي: ((**(وَخَشَعَت الْأَصْوَاتُ)** أي: خفضت من شدة الفزع وخفتت **(فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْساً)** وهو الركز الخفي...))(١٤٩).

وإليه ذهب ك–لٌّ من البيضاوي(١٥٠)، والفيض الكاشاني(١٥١)، ومحمد بن عاشور(١٥٢).

ثالثاً: ((الخشوع)) بمعنى ((الهدوء)). قال الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: ((**(وَخَشَعَت الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْساً)** إن هدوء الأصوات أو خشوعها هذا إما هو لهيمنة العظمة الإلهية على عرصة المحشر حيث يخضع لها الجميع، أو خوفاً من الحساب ونتيجة الأعمال، أو لكليهما))(١٥٣). وإليه ذهب ك–لٌّ من القمي(١٥٤)، والفيض الكاشاني(١٥٥).

رابعاً: ((الخشوع)) بمعنى ((السكون والإخفات والخفض)). قال محمد الأمين الشنقيطي: ((وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: (وَخَشَعَت الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ) أي: خفضت وخفتت، وسكنت هيبة لله، وإجلالاً وخوفاً (فلا تسمع) في ذلك اليوم صوتاً عالياً، بل لا تسمع (إِلَّا هَمْساً) أي: صوتاً خفياً خافتاً من شدة الخوف...))(١٥٦).

وصرّح الدكتور محمد سيد طنطاوي بذلك قائلاً: ((وقوله **(وَخَشَعَت الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْساً)** أي: وخفتت وخفضت وسكنت الأصوات كل–ها هيبة وخوفاً من الرحمن Y...))(١٥٧).

خامساً: ((الخشوع)) بمعنى ((الخفاء)). وإليه ذهب الآلوسي؛ إذ قال: ((**(وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ)** أي: خفيت لمهابته – تعالى – وشدة هول المطلع...))(١٥٨).

سادساً: ((الخشوع)) بمعنى ((الخضوع والخفاء)). وصرّح الرازي بهذا المعنى قائلاً: ((قوله: (وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْساً) وفيه وجوه: أحدها: خشعت الأصوات من شدة الفزع: خضعت وخفيت فلا تسمع إلا همساً...))(١٥٩).

ومهما يكن من أمر، فما يبدو لي – والله أعلم أن ((الخشوع)) في الآية الكريمة يدل على المعاني الستة كل–ها، أعني: الخفض، والإخفات، والسكون، والهدوء، والخفاء، والخضوع: وبيانه: أن الأصوات ت–خفض وتخفت، فتصير ساكنة هادئة، وتصل إلى حد الخفاء؛ فتكون خاضعة لله – تبارك وتعالى – .

الخاتمة

هذا بحث عرضت فيه لدلالة ((الخشوع)) في القرآن الكريم من خلال أقوال المفسرين، وقد انتهى بي إلى هذه النتائج الآتية:

١ – بدا واضحاً التداخل في معاني ((الخشوع))، لدرجة أن الباحث يجد صعوبة بالغة في الوصول إلى المعنى المراد، بإعمال النظر في المعنى، والتفكر فيه، مستعيناً بالسياق العام للآية الكريمة.

٢ – أخذت معاني ((الخشوع)) المختلفة في البحث أشكالاً متعددة، فتارة تجد أن المعنى للخشوع هو الخوف، بيد أن نتيجته التواضع، وتارةً أُخرى تجد العكس، وهكذا دواليك مع المعاني الأُخرى.

٣ – كان للسياق العام الذي وردت فيه لفظة ((الخشوع)) أثر في تغي–ر دلالتها، والمعنى المراد منها.

٤ – قد يدل ((الخشوع)) في القرآن الكريم على معنى، أو معنيين، أو ثلاثة أو أكثر منفرداً، أو على مجموعة من المعاني مجتمعة – في الوقت نفسه – .

الهوامش:

---

١) الإسراء: ٨٨.

٢) الإسراء: ٩.

٣) ينظر: البيان في تفسير القرآن: ١١.

٤) ينظر: .

٥) ينظر: العين (باب العين والخاء والدال) :١٨/١، وجمهرة اللغة (خ ش م): ٣١٧/١، وتهذيب اللغة (خضع): ٣٤/١، ومقاييس اللغة (خشف): ١٤٦/٢، والصحاح في اللغة (حضر): ١٧٣/١، والمحيط في اللغة (خضع): ٨/١، والمحكم والمحيط الأعظم (العين والخاء والضاد): ١٤/١، ولسان العرب (خبت): ٢٧/٢، والمصباح المنير (الخاء مع الشين وما يثلثهما): ٦١/٣، وتاج العروس (خسع): ٥١٨٦/١.

٦) ينظر: مقاييس اللغة (خشف): ١٤٦/٢، والصحاح في اللغة (حضر): ١٧٣/١، والمحيط في اللغة (خضع): ٨/١، والمحكم والمحيط الأعظم (العين والخاء والضاد): ١٤/١، والمخصص: ٧٢/١، والمصباح المنير (الخاء مع الشين وما يثلثهما): ٦١/٣، وتاج العروس (خسع): ٥١٨٦/١.

٧) العين (باب العين والخاء والدال) :١٨/١، وينظر: المحيط في اللغة (خضع): ٨/١، والمحكم والمحيط الأعظم (العين والخاء والضاد): ١٤/١، والمخصص: ٧٢/١، ولسان العرب (خبت): ٢٧/٢، وتاج العروس (خسع): ٥١٨٦/١.

٨) الفروق اللغوية: ٢٤٣.

٩) الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق: ٢٠٩.

١٠) ينظر: العين (باب العين والخاء والدال): ١٨/١. وينظر: لسان العرب (خبت): ٢٧/٢.

١١) ينظر: الصحاح في اللغة (حضر): ١٧٣.

١٢) ينظر: المصباح المنير (الخاء مع الشين وما يثلثهما): ٦١/٣.

١٣) ينظر: تاج العروس (خسع): ٥١٨٦/١.

١٤) الفروق اللغوية: ٢٤٣.

١٥) ينظر: العين (باب العين والخاء والدال): ١٨/١.

١٦) بحار الأنوار: ٢١٢/٥٤.

١٧) ينظر: تهذيب اللغة (خضع): ٣٤/١.

١٨) ديوان النابغة: ٦٠.

١٩) ينظر: تاج العروس (خسع): ١٥٨٦/١. وينظر: لسان العرب (خبت): ٢٧/٢.

٢٠) طه: ١٠٨.

٢١) ينظر: العين (باب العين والخاء والدال): ١٨/١، ومقاييس اللغة (خشف): ١٤٦/٢، ولسان العرب (خبت): ٢٧/٢.

٢٢) ينظر: تهذيب اللغة (خضع): ١/٣٤.

٢٣) ينظر: المصباح المنير (الخاء مع الشين وما يثلثهما): ٣/٦١.

٢٤) ينظر: تاج العروس (خسع): ١/٥١٨٦.

٢٥) ينظر: العين (باب العين والخاء والدال): ١/١٨.

٢٦) مفردات ألفاظ القرآن: ٢٨٣.

٢٧) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم (العين والخاء والضاد): ١/٤١.

٢٨) ينظر: المصدر نفسه: ١/٤١، ولسان العرب (خبت): ٢/٢٧.

٢٩) ينظر: المخصص: ١/٧٢، والمحكم والمحيط الأعظم (العين والخاء والضاد): ١/٤١.

٣٠) ينظر: تاج العروس (خسع): ١/١٥٨٦.

٣١) ينظر: تهذيب اللغة (خضع): ١/٣٤، وتاج العروس (خسع): ١/١٥٨٦.

٣٢) ينظر: جمهرة اللغة (خ ش م): ١/٣١٧، والمخصص: ١/٧٢.

٣٣) ينظر: جمهرة اللغة (خ ش م): ١/٣١٧.

٣٤) ينظر: المصدر نفسه: ١/٣١٧، والمخصص: ١/٧٢، والمحكم والمحيط الأعظم (العين والخاء والضاد): ١/٤١.

٣٥) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: ٢٣٣.

٣٦) آل عمران: ١٩٩.

٣٧) ينظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن: ٧/٥٠٠، والتبيان في تفسير القرآن: ٣/٩٢، ومجمع البيان في تفسير القرآن: ٢/٤٢٩، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ٣/٣٨٩، والتفسير الوسيط للقرآن الكريم: ١/٨٣٤.

٣٨) ينظر: معالم التنزيل: ٢/١٥٦، وتفسير السراج المنير: ١/٦١٠.

٣٩) ينظر: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس: ١/٨١، وجامع البيان في تأويل آي القرآن: ٧/٥٠٠، والتبيان في تفسير القرآن: ٣/٩٢، ومجمع البيان في تفسير القرآن: ٢/٤٢٩، وتفسير القرآن العظيم: ٢/١٩٣، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ٣/٣٨٩.

٤٠) ينظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن: ٧/٥٠٠، والتبيان في تفسير القرآن: ٣/٩٢، ومعالم التنزيل: ٢/١٥٦، ومجمع البيان في تفسير القرآن: ٢/٤٢٩، والبحر المحيط: ٤/٤، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ٣/٣٨٩، وتبيين القرآن: ١/١٢١، والأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٣/٦٦، والتفسير الوسيط للقرآن الكريم: ١/٨٣٤.

٤١) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم: ٣١٨/٣، وتفسير القمي: ٣٨٩/٧، وتفسير القمي: ٣٨/٧، والتبيان في تفسير القرآن: ٩٢/٣، ومعالم التنزيل: ١٥٥/٢، وتفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون التأويل في وجوه التأويل: ٣٦٧/١، ومجمع البيان في تفسير القرآن: ٤٢٩/٢، وتفسير القرآن العظيم: ٣٩٤/١، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ٢٥/٢، وتفسير القرآن الكريم (تفسير شبّر): ٧٦، والمحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز: ٦٦/٢.

٤٢) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٦٦/٣.

٤٣) الأنبياء: ٩٠.

٤٤) ينظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن: ٥٢٢/١٨، وتفسير ابن أبي حاتم: ٣٤٣/٩، ومعالم التنزيل: ٣٥٣/٥، وتفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون التأويل في وجوه التأويل: ٢٥٥/٤، وتفسير القرآن العظيم: ٣٧٠/٥، والدر المنثور في التأويل بالمأثور: ٩٧/٧.

٤٥) ينظر: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس: ٣٤٣/١، وتفسير مجاهد: ٤١٥/١، وجامع البيان في تأويل آي القرآن: ٥٢٢/١٨، ومعالم التنزيل: ٣٥٣/٥، وتفسير الكشاف عن حقائق التن–زيل وعيون التأويل في وجوه التأويل: ٢٥٥/٤، ومجمع البيان في تفسير القرآن: ٩٦/٧، وزاد المسير في علم التفسير: ٣٥٩/٤، وتفسير القرآن العظيم: ٣٧٠/٥، والدر المنثور في التأويل بالمأثور: ٩٧/٧، وفتح القدير: ٧٩/٥، وتفسير السراج المنير: ٢٥٦١/١، والتفسير الوسيط للقرآن الكريم: ٢٩٢٨/١.

٤٦) الميزان في تفسير القرآن: ١٤/١٤.

٤٧) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٢٣٦/١٠. وينظر: تبيين القرآن: ١٦٣/٢.

٤٨) التحرير والتنوير: ٢١٠/٩.

٤٩) ينظر: معالم التنزيل: ٣٥٣/٥، وتفسير القرآن العظيم: ٣٧٠/٥، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٢٢٢/٤، والدر المنثور في التأويل بالمأثور: ٩٧/٧، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ٤٣٤/٤، وتفسير الصافي (الصافي تفسير كلام الله): ٣٦٦/٤، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ٤٥٨/١٢، وتفسير السراج المنير: ٢٥٦١/١.

٥٠) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٣٧٠/٥.

٥١) الأحزاب: ٣٥.

٥٢) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٢٠٢/١.

٥٣) ينظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن: ٢٦٩/٢٠.

٥٤) ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن: ١٣٨/٨.

٥٥) تبيين القرآن: ٢٨/٣.

٥٦) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس: ٤٤٠/١.

٥٧) التبيان في تفسير القرآن: ٢٠٢/١.

٥٨) المصدر نفسه: ٣٢٨/٨.

٥٩) ينظر: معالم التنزيل: ٣٥٢/٦.

٦٠) ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن: ١٣٨/٨.

٦١) ينظر: التفسير الكبير: ٣٥٢/١٢.

٦٢) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ١٣/٥.

٦٣) ينظر: الدر المنثور في التأويل بالمأثور: ١٦٢/٨.

٦٤) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ٣٣٦/٥.

٦٥) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ١٢٣/١٦.

٦٦) ينظر: تفسير السراج المنير: ٣٣٧٥/١.

٦٧) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ١٦٦/١٦.

٦٨) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم: ٣٤٢١/١.

٦٩) التبيان في تفسير القرآن: ٢٠٢/١.

٧٠) الدر المنثور في التأويل بالمأثور: ١٦٢/٨.

٧١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم: ٣٤٢١/١.

٧٢) وهي قوله تعالى: (خُشَّعاً أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ) القمر: ٧، وقوله تعالى: (خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إلى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ) القلم: ٤٣، وقوله تعالى: (خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ) المعارج: ٤٤، وقوله تعالى: (قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ * أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ) النازعات: ٨ – ٩..

٧٣) وهي قوله تعالى: (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ * وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ) الغاشية: ١ – ٢.

٧٤) القلم: ٤٢ – ٤٣.

٧٥) ينظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن: ٩٠/٢٩، وإصلاح الوجوه والنظائر: ١٥٩، و تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون التأويل في وجوه التأويل: ٣٦/٤، و التفسير الكبير: ١٥٢/٣١، والجامع لأحكام القرآن: ٨٥/١٧، والتفسير البياني: ١٣٣/١.

٧٦) التبيان في تفسير القرآن: ٨٢/١٠.

٧٧) مجمع البيان في تفسير القرآن: ٨٥/١٠.

٧٨) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٥٥٦/١٨. وينظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن: ٩٠/٢٩، و معالم التنزيل: ٢٠٠/٨، و التفسير الكبير: ١٥٢/٣١، وتفسير القرآن العظيم: ١٩٨/٩، وتفسير نور الثقلين: ٢٨٢/١٠، وتبيين القرآن: ٢٢٦/٣، و التفسير الوسيط للقرآن الكريم: ٤٢٩٦/١.

٧٩) التفسير البياني: ١٣٣/١.

٨٠) ينظر: تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون التأويل في وجوه التأويل: ٣٦/٤. وينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٨٥/١٧، و روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ٣٦/٢٩.

٨١) الغاشية: ١ – ٤.

٨٢) التبيان في تفسير القرآن: ٣٢٣/١٠.

٨٣) التفسير الكبير: ٤٧٧/١٦.

٨٤) التفسير الوسيط للقرآن الكريم: ١٤٨٦/٢. وينظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن: ٣٨٢/٢٤، ومعالم التن–زيل: ٤٠٤/٨، و مجمع البيان في تفسير القرآن: ٣٠٠/١٠، و زاد المسير في علم التفسير: ١٥٠/٦، وتفسير القرآن العظيم: ١٩٨/٨، و أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٣٩٣/٥، و الدر المنثور في التأويل بالمأثور: ٢٤٨/١٠، و إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ٤/٧، وتفسير نور الثقلين: ٩٨/١٠، وفتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: ٤٤٧/٧، و روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ١٩٨/٨، وأضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن: ١٦٠/٩، وفي ظلال القرآن: ٢٦/٨، و الميزان في تفسير القرآن: ٦/١١.

٨٥) الحديد: ٥٧.

٨٦) التبيان في تفسير القرآن: ٥١٣/٩.

٨٧) معالم التن–زيل: ٣٧/٨.

٨٨) مجمع البيان في تفسير القرآن: ٣٥٥/٩.

٨٩) تفسير القرآن العظيم: ١٩/٨. وينظر: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس: ٦٩/٢، وزاد المسير في علم التفسير: ٤٨٧/٥، والجامع لأحكام القرآن: ٢١٣/١٧، و فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: ١٥٣/٧.

٩٠) جامع البيان في تأويل آي القرآن: ١٨٧/٢٣.

٩١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ٢٧٧/٦.

٩٢) التحرير والتنوير: ٤٠٠/١٤.

٩٣) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٤٦/١٨.

٩٤) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم: ٤٠٩٢/١.

٩٥) الحشر: ٢١.

٩٦) التبيان في تفسير القرآن: ٥٥٧/٩.

٩٧) مجمع البيان في تفسير القرآن: ٣٩٨/٩.

٩٨) تفسير القرآن العظيم: ٧٨/٨.

٩٩) تفسير الصافي (الصافي في تفسير كلام الله): ١٥٨/٦. وينظر: معالم التنزيل: ٨٧/٨، والتفسير الكبير: ٣١٢/١٥، و روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ٤٤٢/٢٠، و الميزان في تفسير القرآن: ١٢٠/١٩، و الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٤٦٣/١٥.

١٠٠) جامع البيان في تأويل آي القرآن: ٣٠٠/٢٣.

١٠١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم: ٤١٥٦/١.

١٠٢) الشورى: ٤٥.

١٠٣) ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن: ٥١/٩.

١٠٤) ينظر: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: ٣٩٠/٦.

١٠٥) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس: ٨/٢.

١٠٦) أنوار التن–زيل وأسرار التأويل: ١٥٦/٥.

١٠٧) تبيين القرآن: ١١٥/٣. وينظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن: ٥٥٢/٢١، و إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ٨٦/٦، و الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٥٦٢/١٥.

١٠٨) جامع البيان في تأويل آي القرآن: ١٦/١.

١٠٩) ينظر: المصدر نفسه: ١٦/١. وينظر: معالم التنزيل: ١٩٩/٧، و فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: ٣٩٠/٦.

١١٠) ينظر: معالم التنزيل: ١٩٩/٧، و زاد المسير في علم التفسير: ٣٢٦/٥، و فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: ٣٩٠/٦.

١١١) البحر المحيط: ٤٨٦/٩. وينظر: المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز: ٥٧/٦.

١١٢) الإسراء: ١٠٩.

١١٣) جامع البيان في تأويل آي القرآن: ٥٧٩/١٧.

١١٤) معالم التنزيل: ١٣٦/٥. وينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٥٢٥/٦، وتفسير القرآن العظيم: ٥٣/٧، و مجمع البيان في تفسير القرآن: ٢٧١/٦.

١١٥) مجمع البيان في تفسير القرآن: ٢٧١/٦.

١١٦) التفسير الكبير: ١٤٨/١٠.

١١٧) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ١٧٤/٩. وينظر: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس: ٣٠٥/١، وتفسير جوامع الجامع: ٤٤٠/٢، و زاد المسير في علم التفسير: ١٩٩/٤، والبحر المحيط: ٤٠٨/٧.

١١٨) تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون التأويل في وجوه التأويل: ٤٩١/٣.

١١٩) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: ٣٦١/٤. وينظر: تفسير جوامع الجامع: ٤٤٠/٢، والتفسير الوسيط للقرآن الكريم: ٢٧٨٨/١، وأضواء البيان في تفسير القرآن: ٤/٤.

١٢٠) المؤمنون: ٢.

١٢١) الأمثل في تفسير كتاب الله المن–زل: ٤١٧/١٠.

١٢٢) ينظر: البيان في تفسير القرآن: ٣٤١/٧.

١٢٣) ينظر: تبيين القرآن: ١٧٨/١.

١٢٤) الميزان في تفسير القرآن: ١٥٤/٧.

١٢٥) المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز: ١٤/٥.

١٢٦) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٤١٦/٥.

١٢٧) ينظر: الدر المنثور في التأويل بالمأثور: ١٨٤/٧.

١٢٨) في ظلال القرآن: ٢٢٢/٥.

١٢٩) أنوار التن–زيل وأسرار التأويل: ٣٠٣/٤.

١٣٠) مجمع البيان في تفسير القرآن: ١٥٦/٧.

١٣١) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ١٥٧/١٣.

١٣٢) ينظر: التفسير الكبير: ١٦١/١١.

١٣٣) البقرة: ٤٥.

١٣٤) التحرير والتنوير: ٣٣٠/٩.

١٣٥) التبيان في تفسير القرآن: ١٩٩/١.

١٣٦) الجامع لأحكام القرآن: ٤١٤/١. وينظر: التفسير المنسوب للإمام الحسن العسكري υ : ٥٨/٥، و معالم التنزيل: ٨٨/١، و الدر المنثور في التأويل بالمأثور: ١١٠/١، وتفسير فرات الكوفي: ٢٠/٨/٥، ودقائق التفسير: ٣٠٠/٢، و الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ١٩٢/١.

١٣٧) تفسير ابن أبي حاتم: ١٢٥/١.

١٣٨) في ظلال القرآن: ٤١/١.

١٣٩) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ٣٠٠/١.

١٤٠) التفسير الوسيط للقرآن الكريم: ٧٢/١.

١٤١) جامع البيان في تأويل آي القرآن: ١٥/١.

١٤٢) طه: ١٠٨.

١٤٣) جامع البيان في تأويل آي القرآن: ٣٧٤/١٨.

١٤٤) تبيين القرآن: ١٥١/٢.

١٤٥) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٢٠٥/٧.

١٤٦) ينظر: معالم التنزيل: ٩٠/١.

١٤٧) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٣١٧/٥.

١٤٨) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ٣٨٥/٤.

١٤٩) تفسير جوامع الجامع: ٤٢/٣.

١٥٠) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ١٤٦/٤.

١٥١) ينظر: تفسير الصافي (الصافي في تفسير كلام الله): ٣٣٢/٤.

١٥٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٧٩/٩.

١٥٣) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٧٩/١٠.

١٥٤) ينظر: تفسير القمي: ٢٩/٨.

١٥٥) ينظر: تفسير الصافي (الصافي في تفسير كلام الله): ٣٣٢/٤.

١٥٦) أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن: ١٧٠/٤.

١٥٧) التفسير الوسيط للقرآن الكريم: ٢٨٦٢/١.

١٥٨) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ٢٧٣/١٢.

١٥٩) التفسير الكبير: ٤٧٠/١٠.

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.
٢. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: محمد بن محمد العمادي أبو السعود (ت٩٥١هـ)، دار إحياء التراث العربي ، (د، ت).
٣. إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم: الحسين بن محمد الدامغاني (ت٤٧٨هـ)، تحقيق: عبدالعزيز سيد الأهل، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٢، ١٩٧٧م.
٤. أضواء البيان في تفسير القرآن: محمد الأمين الشنقيطي، دار المعارف مصر، ط، (د، ت).
٥. الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق: د. عائشة عبدالرحمن، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧١م.
٦. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ناصر مكارم الشيرازي، مؤسسة البعثة، مؤسسة البعثة للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١، ١٩٩٣م.
٧. أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر أبو سعيد عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت٧٩١)، دار الفكر – بيروت، ١٩٩٦م.
٨. بحار الأنوار: محمد باقر المجلسي (ت١١١١هـ)، طهران ، (د، ت).
٩. البحر المحيط: أثير الدين أبو عبدالله محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي (ت٧٤٥هـ)، مطبعة السعادة بمصر، ط ١، ١٣٢٨هـ.
١٠. البيان في تفسير القرآن: السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان، ط٢، ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م.
١١. تاج العروس من جواهر القاموس: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي (ت١٢٠٥هـ)، تحقيق عبدالستار أحمد فراج، وراجعته لجنة من وزارة الإعلام، مطبعة حكومة الكويت، ١٣٩١هـ – ١٩٧١م.
١٢. التبيان في تفسير القرآن: أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ)، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملين مطبعة مكتبة الإعلام الإسلامي، ط ١ ، ١٩٨٩م.
١٣. تبيين القرآن: السيد محمد الحسيني الشيرازي، ط ١، مؤسسة المجتبى للتحقيق والنشر، (د، ت).

١٤. التحرير والتنوير: محمد بن الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر ، (د، ت)، جزء المقدمات وتفسير سورة الفاتحة وجزء عم، دار الكتب الشرقية، تونس.
١٥. تفسير ابن أبي حاتم: الإمام الحافظ أبو محمد عبدالرحمن بن أبي حاتم الرازي (ت٣٢٧هـ)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، صيدا، المكتبة العصرية ، (د، ت).
١٦. التفسير البياني للقرآن الكريم: د. عائشة عبدالرحمن، الجزء الأول: طبع بمطابع دار المعارف بمصر، القاهرة، ط٦، ١٩٨٢م، والجزء الثاني: طبع بمطابع دار المعارف بمصر، القاهرة، ط٢، ١٩٧٣م.
١٧. تفسير السراج المنير: الخطيب الشربيني، أُعيد طبعة بالأوفسيت، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ط٢ ، (د، ت).
١٨. تفسير الصافي (الصافي تفسير كلام الله): المولى محسن الملقب بالفيض الكاشاني (ت١٠٩١هـ)، دار المرتضى للنشر، مشهد، ط ١ ، (د، ت).
١٩. تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت٧٤٤هـ)، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٢م.
٢٠. تفسير القرآن الكريم (تفسير شبر): السيد عبدالله شبر (ت١٢٤٢هـ)، دار البلاغة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط ١، ١٩٩٢م.
٢١. تفسير القمي: أبو الحسين علي بن إبراهيم القمي (من أعلام القرن الثالث والرابع الهجريين)، تحقيق: السيد طيبي الموسوي الجزائري، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، قم – إيران، منشورات مكتبة الهدى ، (د، ت).
٢٢. التفسير الكبير: محمد بن عمر بن الحسين، فخر الدين الرازي (ت٦٠٦هـ)، المطبعة البهية المصرية، ط ١، ١٣٥٧هـ – ١٩٨٣م.
٢٣. تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون التأويل في وجوه التأويل: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان ، (د، ت).
٢٤. التفسير المنسوب للإمام الحسن العسكري υ ، المطبعة الإسلامية، قم، ١٣٠٢هـ.
٢٥. التفسير الوسيط للقرآن الكريم: د. محمد سيد طنطاوي، مطبعة السعادة، ط٢، ١٩٧٤م.
٢٦. تفسير جوامع الجامع: الشيخ الطوسي (ت٤٦٠هـ)، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ط ١، ١٤١٨هـ.
٢٧. تفسير فرات الكوفي: فرات بن إبراهيم الكوفي، ط ١، ١٤١٠هـ، طهران، إيران.

٢٨. تفسير مجاهد: أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي المخزومي (ت١٠٤هـ)، قدم له وحققه وعلي حواشيه: عبدالرحمن الطاهر بن محمد السورتي، المنشورات العلمية، بيروت ، (د، ت).
٢٩. تفسير نور الثقلين: الشيخ عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي (ت١١١٢هـ)، تحقيق: السيد هاشم الرسولي المحلاتي، مطبعة مؤسسة إسماعيليان، ط٤، ١٩٩٢م.
٣٠. تنوير المقباس من تفسير ابن عباس: المنسوب الى ابن عباس (رض)، دار الكتب العلمية ، (د، ت).
٣١. تهذيب اللغة: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت٣٧٠هـ)، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، القاهرة، ١٩٦٤ – ١٩٦٧م.
٣٢. جامع البيان في تأويل آي القرآن: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.
٣٣. الجامع لأحكام القرآن: أبو عبدالله محمد بن أحمد القرطبي (ت٦٧١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٨٨م.
٣٤. جمهرة اللغة: ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي (ت ٣٢١هـ)، دار صادر، بيروت – لبنان، ط ١، ١٣٤٥هـ .
٣٥. الدر المنثور في التأويل بالمأثور: جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، مطبعة الفتح، جدة، ط ١، ١٩٤٥م.
٣٦. دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية: أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: د. محمد السيد الجليند، ط٢، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، ١٤٠٤هـ.
٣٧. ديوان النابغة الذبياني: جمع وتحقيق وشرح: الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، نشر الشركة التونسية للتوزيع والشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د، ت).
٣٨. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: أبو الفضل شهاب الدين الآلوسي البغدادي (ت١٢٧٠هـ)، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، ط٢ ، (د، ت).
٣٩. زاد المسير في علم التفسير: أبو الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي البغدادي (ت٥٩٧هـ)، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، دمشق، ط ١، ١٩٦٨م.
٤٠. الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية): إسماعيل بن حماد الجوهري (ت٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، مطبعة دار الكتاب العربي، مصر، ١٣٣٧هـ.

٤١. العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ)، تحقيق د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٨٠ – ١٩٨٥م.
٤٢. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت١٢٥٠هـ)، عالم الكتب، بيروت ، (د، ت).
٤٣. الفروق اللغوية: أبو هلال العسكري (ت٣٩٥هـ)، ضبطه وحققه: حسام الدين القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، (د، ت).
٤٤. في ظلال القرآن: سيد قطب، دار الشروق، بيروت، ط١١، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.
٤٥. لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور (ت٧١١هـ)، دار صادر – بيروت، ١٩٦٨م.
٤٦. مجمع البيان في تفسير القرآن: أبو علي الفضل بن الحسين الطبرسي (ت٥٤٨هـ)، عني بطبعه: أحمد عارف الزين، مطبعة العرفان، صيدا، سوريا، ١٣٣٣ – ١٣٥٦هـ.
٤٧. المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز: أبو محمد عبدالحق بن غالب بن عبدالرحمن بن عطية المحاربي، دار الفكر، بيروت ، (د، ت).
٤٨. المحكم والمحيط الأعظم في اللغة: علي بن إسماعيل بن سيده (ت٤٥٨هـ)، تحقيق عبدالستار أحمد فراج، ط ١، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٩٦٨م.
٤٩. المحيط في اللغة: الصاحب بن عباد، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، دار الحرية للطباعة – بغداد، ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨.
٥٠. المخصص: أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي، المعروف بابن سيده (ت٤٥٨)، دار الفكر، (د، ت).
٥١. المصباح المنير: أحمد بن محمد بن علي الفيومي (ت٧٧٠هـ) تحقي: د. عبدالعظيم الشناوي، دار المعارف، مصر، ١٩٧٧م.
٥٢. معالم التنزيل: الحسين بن مسعود الفرّاء البغوي (ت٥١٦هـ)، تحقيق: خالد العك ومروان سوار، دار المعرفة – بيروت، ط٢، ١٩٨٧م.
٥٣. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبدالباقي، مطبعة دار الكتب المصري، ١٣٦٤هـ – ١٩٤٥م.
٥٤. معجم مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥هـ)، تحقيق وضبط: عبدالسلام محمد هارون، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشكراه، القاهرة، ط ١، ١٣٦١هـ.

٥٥. مفردات ألفاظ القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، ط ١، ١٤٢٦هـ.
٥٦. الميزان في تفسير القرآن: العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (ت١٤٠٢هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم – إيران، (د، ت).